



الإِسْرَائِيلِيَّاتُ فِي التَّفْسِيرِ

فريق موقع تفسير

من قال ذلك
شأن أبو عاصم ، قال : شاعر ، من ابن أبي
اللهم عذرنا
الله ، قال : شاعر ، من ابن أبي ثور ، من
بن ، قال : شاعر ، من ابن أبي ثور ، من
بن ، قال : شاعر ، من ابن حجر ، من
، وجوان ، أحدهما : أن يكون متصوراً على
قبل : أئم المذاهب أصوات عذراً لغير أئمها .
لك بالصواب ، لأن تفسير أهل التفسير بذلك
فوع قوله : ﴿إِنَّمَا﴾ عليه ، كماله في : إن
من يؤمن بكتاب الله تعالى تأثم بالجحود ، يشهد بالجحود
عنه قوله : إِنَّمَا يَنْهَا رَبُّ الْكَوْكَبِينَ
لَا يَنْهَا رَبُّ الْكَوْكَبِينَ

www.tafsir.net

الإِسْرَائِيلِيَّاتُ فِي التَّفْسِيرِ

حوار مع

أ.د. مساعد بن سليمان الطيار

f t i y g+ b m @Tafsircenter

عدد وتحرير / فريق موقع تفسير

عرف الدكتور مساعد الطيار بطرحه المغاير لموضوع الإسرائييليات في التفسير ودعوته الدائمة لضرورة بحثه بصورة



تطبيقيّة لدى المفسّرين قبل الحكم عليها سلباً أو إيجاباً، وفي هذا الحوار يطرح د/ مساعد رؤيته حول موضوع الإِسْرَائِيلِيَّاتُ وأهم إشكالاته في البحث المعاصر وآفاق دراسته.

مقدمة:

يُعَدُّ نقد المرويات الإِسْرَائِيلِيَّةُ وحضورها في كتب التفسير من الأمور القديمة والجديدة في ذات الآن، فهذا النقد ممتدٌ منذ قديم؛ إذ ترجع جذوره إلى عصر ما بعد السلف، كما أنه كذلك معاصر. إلا أن وثيره النّقد زادت بشدة في الدرس المعاصر للقرآن الكريم والتفسير، حيث لاقى هذا الحضور انتقاداً واسعاً من قِبَلِ معظم المشتغلين بالدراسات القرآنية والمهتمين بتفسير القرآن الكريم، مهما اختلفت توجّهات أو منطلقات هؤلاء الدارسين؛ مما يدلّ على وجود شبه اتفاق على طريقة طرح المشكلة وطريقة تناولها، بل وتحول هذا النقد لمشروعات علمية ممتدة بهدف تتبع هذه المرويات ونقدّها وما تسرّب منها للتفسير.

ويُعَدُّ الدكتور مساعد الطيار -أحد أبرز المشتغلين المعاصرين بالدراسات القرآنية- من تمّايزوا بطرح مغايرٍ لذلك الخط الناقد للمرويات الإِسْرَائِيلِيَّة؛ حيث اهتم بتسلیط الضوء على هذه المرويات في كتب التفسير، والتنبيه على أهمية دراسة مقاصد العلماء من وراء إيرادها بصورة تطبيقيّة لا تجريديّة نظرية.

وفي هذا الحوار العلمي يحاور موقعُ تفسير الدكتور مساعد ليتعرف على وجهة نظره في هذا الموضوع الشائك. وقد جاء الحوار معه على ثلاثة محاور بعد مدخل

تمهيدي تناول سبب اشتغاله بهذا الإشكال وخارطة إنتاجه فيه:

في المحور الأول: (الإسرائييليات؛ المفهوم ومحددات التمييز)، دار حديثه حول مفهوم الإسرائييليات وحول التقسيمات الشائعة لها ومصدرها، وفي المحور الثاني : (الإسرائييليات وواقعها في مدونة التفسير)، تناول الإسرائييليات في مدونات التفسير، حيث حاول تسلیط الضوء على حضور الإسرائييليات، وعلاقتها بمستويات تبيين المعنى كمهمة أساسية للمفسّر، وفي المحور الثالث والأخير: (الإسرائييليات؛ الواقع والآفاق)، تناول واقع دراسة الإسرائييليات في الكتابات وفي البرامج الدراسية المعاصرة، محاولاً كذلك طرح بعض الأفكار لفتح آفاق لدراستها بصورة عملية تبغي التحرير الدقيق لها.

وفيما يلي نصّ الحوار:

نصّ الحوار

مدخل تمهيدي حول الموضوع:

س 1: لكم عنابة ظاهرة بتناول موضوع الإسرائييليات في التفسير والكتابة فيه بصورة ثبّابين المألف من النادر الناقد لهذه المرويات، فلو ظلّعونا على أهم أسباب ذلك؟ ومتى بدأ توجّهم لبحث هذه القضية تحديداً؟

أ/د/ مساعد الطيار:

بسم الله، والحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله.

كانت بداية اشتغالى بموضوع المرويات الإسرائيلية في كتب التفسير عندما كنت طالبًا في الجامعة، حيث تلقّيت -كغيري، كما هو سائد في الأوساط الأكاديمية- أنَّ هذه المرويات من أحد عيوب التفسير البارزة، وأنَّ الرجوع إليها من قِبَل المفسّرين وروايتهم لها كان خطأً، ولمَّا قدَّر اللَّهُ لِي العناية بِالتفاسير -خاصةً تفسير السلف والنظر فيه- لاحظتُ حضورًا كثيفًا جدًّا لهذه المرويات في تفاسير السلف، وأنهم أخذوها عن بني إسرائيل، وأفادوا منها في التفسير بصورة واسعة لا يمكن نفيها؛ ومن هنا تخلق الإشكال عندي وحضر السؤال، وهو: كيف يكون حضور هذه المرويات في تفاسير السلف على هذا النحو وتكون روایتها مشكلة وخاطئة؟! ولمَّا كانت لي عناية -بحمد الله- متقدمة بِتفسير الطبرى كذلك وجدته -وهو إمام المفسرين- لا يستشكل هذه المرويات أبدًا، وإنما يتعامل معها والبيان التي وُظفتْ فيه كغيره من المقولات التي وُظفتْ فيها اللغة وغيرها، ومن هنا ظهر لي أنَّ الأمر مشكلٌ، خاصةً كذلك مع حضور بعض التأصيلات لدىَّ من مثل ما كتبه ابن تيمية في مقدمته الشهيرة، والذي لم أجده فيه تعاملاً مع المسألة كما هو مطروح حولها في الدراسات المعاصرة.

وعندما أنعمتُ النظر في الدراسات المعاصرة التي عالجَتْ هذه المسألة وجدتها لا تُعنى كثيرًا بتتبع مناهج من أوردوا هذه المرويات ومسالك توظيفهم لها، وإنما تتقى الأمَّر بصورة مجملة، وهو ما حَدَّ بي للرجوع لِتفاسير السلف وأئمَّة التفسير ممَّن تعاملوا مع هذه المسألة لا سيما الطبرى؛ لأنَّكُنْه شبيهًا من المنهج الذي حكمهم في هذه المسألة، وهو ما أفضى بي لِمخالفة الطرح السائد والنأى بهذه المرويات في التفسير والمستشكل لحضورها؛ إذ لم أجده الواقع التطبيقي لهذه المرويات منسجمًا مع الدرس المعاصر لها.

وقد اشغلت بهذه المسألة واهتممت بالكتابة فيها؛ كون الدراسات المعاصرة تُقرّر من خلالها أحكاماً صعبة على المفسّرين من السلف وأئمّة التفسير ممّن تلاهم، وتتهمهم باتهامات لا تليق، وبأنّهم أوردوا هذه المرويات على حين غفلة، وأنّهم ذهلو عمّا فيها... إلخ، مما قد تستشكّل نسبة بعضه لآحاد الدارسين المعاصرين، فكيف بجيل السلف وأئمّة التفسير؟!

س2: كتبت حول هذه القضية بعض البحوث، فلو تطلعوننا على خارطة الناجي العلمي الذي طرحتوه فيها؟

أ.د/ مساعد الطيار:

قد اعنىت بالكتابة في هذه القضية منذ فترة باكرة ترجع تحديداً لبدايات اتصالي بملتقى أهل التفسير، حيث طرحت بعض المقالات حول موضوع الإسraelيات، منها: (رأي آخر في الإسraelيات في كتب التفسير) [1]، وكذلك كتبت مقالاً عن بعض الضوابط المنهجية التي حكمت صنيع الطبرى وتعامله مع المرويات الإسraelية من خلال تحليل قصة الحية [2].

ولما شرحت مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير تعرّضت لهذه المسألة وفصلت فيها كذلك؛ فإنّ تيمية تعرّض للمرويات الإسraelية ببعض التأصيل كما هو معلوم، وبالتالي شرحت كلامه وعلقت عليه وبيّنت بعض الأمور المتعلقة بهذه المسألة في كتب التفسير، والتي قد لا يلتفت إليها في الدرس المعاصر الناقد لهذه المرويات وإيرادها.

وكذلك عالجتُ المسألة في مؤلفاتي في أصول التفسير، لا سيما عند الحديث عن مصادر التفسير؛ حيث اجتهدتُ في بيان بعض المسالك المنهجية المتعلقة بالإسرائيليات، والتي لم يَتِمَ النظر إليها -لَمَّا كان مسار بحث المسألة لدى المعاصرين- بهذه الصورة.

المحور الأول: الإسرايليات؛ المفهوم ومحَدّدات التمييز.

س3: عرَّفتُ الإسرايليات من قَبْلِ العديد من الكتبة والمصنّفين بتعريفات كثيرة، والبعض ينحو لقصْرِها على الخرافات والأساطير، فما تقييمكم لهذه التعريفات؟ وما المفهوم الذي ترونَه أكثرَ تعبيراً عنها من وجهة نظركم؟

أ/ د/ مساعد الطيار:

تعريف الإسرايليات من المسائل التي تحتاج إلى نظر وبحث؛ فالإسرايليات تشمل قصصاً وأخباراً عديدة منها ما هو وارد عن بنى إسرائيل وما يتعلق بأنبيائهم وأحوالهم مع الأنبياء، ومنها ما لا يتعلق بأنبيائهم؛ كأخبار قوم صالح وهود وشعيب، وهذا القصص يدخل في الإسرايليات من باب التغليب كما أشار إلى ذلك الشيخ الذهبي، وهذا يدلّ على كون مفهوم مصطلح الإسرايليات لم يزل غير محدّد بصورةٍ بيّنةٍ، وبغضّ النظر عن ذلك إلّا أنَّ قصرَ مفهوم الإسرايليات على أنه خرافة وأساطير مشكِّل، بل إنَّ فيه طعنةً خفيّاً في المفسّرين بأنهم نقلوا أموراً خرافية بلا وعي، وضبط الاصطلاح يحتاج لاستقراء موسّع لهذا القصص في كتب التفسير، ثم النظر في المفهوم وتحديده.

س4: البعض يرى أنّ الإسraelيات لا سيما المواقف منها لما وردَ في شرْعِنا، يجب الدول عن تسميتها بالإسraelيات؛ كونها مما جرى أسلَمَتْهُ، فما تقييمكم لهذه المقوله؟

أ.د/ مساعد الطيار:

في الحقيقة، هذه محاولات للتفلت من فكرة رواية المرويات الإسرائيلية، فلما ارتبط في الأذهان أنّ مصطلح الإسرائيليات مجرد خرافه وأساطير حاولنا أن نهرب من ذلك بدعوى أن المواقف منها لا نسمّيه بالإسرائيليات.

لقد قسم ابن تيمية المرويات الإسرائيلية إلى ثلاثة أقسام: ما هو موافق لشريعتنا، وما هو مخالف لها، وما هو غير موافق ولا مخالف. وبغضّ النظر عن أن هذا التقسيم في ضوء الواقع التطبيقي قد يفرز لنا بعض المناطق الرمادية التي يتعدّر فيها تقسيم المرويات تبعًا لقسمة ابن تيمية، إلا أنّ اعتبار ما وافقنا مما يندرج في إطار شريعتنا ليس من الإسرائيليات مشكلاً؛ لأن الموافقة لا تنفي أصل الخبر والقصة بأنها من الإسرائيليات.

س5: يرفض بعض الباحثين اعتبار وصف الإسرائيليات لكلّ ما هو خارج عن المصادر العبرية، فما هو رأيكم إزاء ذلك؟

أ.د/ مساعد الطيار:

اعتبار بعض الباحثين لكون ما هو خارج عن المصادر العبرية ليس من الإسرائيليات هو أمرٌ يرجع في أصله لقضية الاصطلاح وما اختاره الباحث فيه من

دلالة، والواقع التطبيقي للمرويات الإسرائيلية في كتب التفسير يشي بأن هناك العديد من الأخبار مما يتعلق بالنصارى كذلك على أنه من الإسraelيات. وهناك قصصٌ لا يتصل بالإسraelيات كالقصص الوارد عن العرب القدماء كما قلنا، وعدم اعتباره ضمن الإسraelيات لا إشكال فيه.

س6: تمثل قضية تمييز الخبر الإسرائيلي إشكالاً لدى الدارسين، خاصة حين تحمل مضموناً غيبياً؛ لِمَا يحتمل ذلك أن يكون الخبر غيباً سمعه الصحابي من النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا أنه لم يرفعه، فكيف ترون محددات التمييز للخبر الإسرائيلي؟ وكيف نحكم عليه في هذه الحالة؟

أ/ د/ مساعد الطيار:

مسألة تمييز الخبر الإسرائيلي من المسائل الصعبة والعصيرة، فهناك احتمالٌ أن يكون الصحابي سمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- فعلياً، وهناك احتمالٌ بـألا يكون قد سمع، وأنه روى عنبني إسرائيل وأخذ عنهم، وهو لا إشكال فيه، خاصة وأن الصحابة لديهم إذنٌ نبويٌّ برواية هذه الإسرائيليات كما هو معلوم، وهناك احتمال بأن يكون قد سمع أصل القصة من النبي -صلى الله عليه وسلم- وأضاف إليها مما أخذه عنبني إسرائيل.

ومسألة استئناف المحددات الخاصة بالتمييز لا سيما إذا كان الخبر في مسألة غريبة مما لا تدركه العقول، تُحيّلنا على أهمية النظر في الأحوال الخاصة بالصحابية ومسالك تعاملهم في هذا الباب، وهو الأمر الذي متى حررناه من استقراء التطبيقات أمكننا بناء المحددات والمعايير، وإلا فإننا بدون ذلك لا يمكننا الحكم في هذا الشأن.

فالسلف مُجمِعون -مثلاً- على أن فتنة داود التي ذكرها القرآن كانت في المرأة، بغض النظر عن تفاصيل القصة الخاصة بهذا الصدد، وهاهنا يحتمل أن يكونوا سمعوا ذلك من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأضافوا له من المرويات الإسرايلية، ويحتمل ألا يكون كذلك، والأمر بحاجة لاستقراء موسَع لمسالك الصحابة ومعاييرهم التي اعتمدوها في التعامل مع هذه القضايا؛ حتى يمكننا أن نميز ما هو إسرايلي مما قد يحتمل الرفع.

س 7: من الإسرايليات -تبعاً للتقسيم المشهور لها- ما لا نعلم صدقه ولا كذبه، وهذا القسم يقترح البعض أن يكون العقل هو المعيار للحكم فيه، فما موقفكم من هذه المسألة؟ وضابط الحكم في هذا القسم؟ وكيفية التعامل معه؟

أ/ د/ مساعد الطيار:

قسم ابن تيمية المرويات الإسرايلية إلى ثلاثة أقسام: ما يوافق شرعتنا، وما يخالفه، وما لا يوافق ولا يخالف. ولا شك أن العمل من خلال هذه القسمة يتعدّر في بعض المناحي كما قلنا، وقد بيَّنتُ في كتابي «التحرير في أصول التفسير» أن محل النزاع هو في الْقِسْمَيْنِ: الثاني والثالث؛ لأنَّه قد يدَّعِي أحد الباحثين أنَّ المروية من القسم الثاني فيردُّها، أو الثالث فيجُوَّز روايتها؛ كونها مما لا يُصدِّق ولا يُكَذَّب، ولكن اعتماد العقل في هذا المسلك لا يحل الإشكال ولا يرفعه كما هو بيَّن، ولا بد من بناء محددات علمية يمكن الاعتماد عليها، وإلا فتفاوت العقول في الحكم واسع.

المotor الثاني: الإسرايليات وواقعها في مدونة التفسير.

س 8: لكم عناية في بحوثكم تتبع المرويات الإسرائيلية في كتب التفسير بصورة طبيعية، فما أبرز فوائد إيراد الإسraelيات في كتب التفسير من خلال بحثكم وتتبعكم لها؟

أ/ د/ مساعد الطيار:

تبين لي من خلال تتبع المرويات الإسرائيلية في كتب التفسير أنّ هناك فوائد أربعة، وهي:

أولاً: توجيه الآية لمعنى محتمل لها: فالمتحرر عندي أنّ بعض الآيات مما لا يمكن فهمه بصورة دقيقة إلا من خلال المرويات الإسرائيلية؛ فتفسير فتنة داود وسليمان وغير ذلك لا يمكن أن يُعرف معناها إلا من خلال ما أورده السلف وذكروا فيه روايات إسرائيلية وجهَت الآية لمعنى محتمل تتفَسَّر عليه، لو أتنا أتينا فيها بتفسير فإنه سيكون مخالفًا للطبقات السابقة، وسيكون هناك إشكالات عديدة في قبوله، وبالتالي فإنّ قبول ما ذكره السلف هو الأصل.

ثانياً: تعين المهام: وهذا مسلك واسع جدًا في تفسير السلف وإن استشكل البعض جدواه وأهميته، حيث اعتبروا بيان المهام، وكتاب السهيلي في المهام غالبه على مقولات السلف إلا قليلاً، وتعين المهم أصله في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ حيث بين لنا المهم في قصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف وسمّاه بأنه الخضر، وكذلك اعتبرت بعض الصحابة بتعيين المهام، وقد سأله ابن عباس -كما قد ثبت في الصحيحين وغيرهما- عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما ورد في الآية،

فأخبره أنهم عائشة وحفصة.

ثالثاً: معرفة سبب القصة: فالقرآن يورد أموراً لا يُعرف سببها، كما حكى لنا في قصة داود وفتنته وما كان معه من أمر الخصميين اللذين تسوّرَا عليه المحراب، وإيراد الإسraelيات يبيّن لنا الأسباب التي أفضتْ لوقوع الحدث.

رابعاً: تفصيل المجمل: وهذا هو الغالب والمشهور، حيث يوردون القصص من باب تبيين بعض المجملات في القصص القرآني وما جاء ذكره موجزاً، ومن ذلك ذكرهم للقصص في الضرّ الذي أصاب سيدنا أيوب وغير ذلك.

هذه بعض الفوائد التي ظهرتْ لي في مسألة إيراد المرويات الإسraelية، ولا شك أننا لو استقرّأنا ووسّعنا النظر فقد نخرج بغير ذلك.

س9: للطبرى وتفسيره خصوصية لديكم في بحث المرويات الإسraelية، فلو توضّحون لنا مسوّغات ذلك وأسباب خصوصية هذا التفسير وأهميته في بحث هذه المسألة وتحليلها؟

أ/ مساعد الطيار:

للطبرى مقامٌ جليلٌ في التفسير كما هو معلوم، وقد ائَّم تفسيره بالنظر المنهجي والتحليل الدقيق والعميق، وبالتالي فإنّ الولوج لدراسة المسألة من خلاله يفتح لك أبواباً أخرى من النظر مختلفة تماماً عن الدرس المعاصر، حيث إنّ الطبرى يعتنى بوضع المعايير التي يتعامل معها في ترجيح الأقوال ونقدّها والموازنة بينها، ومن

هاهنا أقول: لو أننا نظرنا في تحليلات الطبرى ومعاييره التي يذكرها أثناء تعليقه على أقوال السلف مما ورد فيه مرويات إسرائىلية، لأمكننا أن نخرج علمًا غزيرًا ونافعًا في بحث المسألة وضبطها.

ومن الغريب أنك تجد بعض المناقشين يجعل الطبرى بإزاء غيره من المفسّرين في بحث مسألة المرويات الإسرائىلية، بل إنهم ينقدونه ويحاكمونه لغيره من المفسّرين بعده، وهذا مشكلٌ عندي؛ كون الطبرى إمام التفسير بجداره، و قوله ليس كقول غيره من المفسّرين، ولا يعني هذا قداسة الطبرى طبعاً وأنه لا يخطئ، وإنما هو وضع له في موضعه الصحيح والذي ناله بجداره، فما دام الطبرى لم يستشكل مسألة المرويات الإسرائىلية، فإنّ علينا أن ننظر في طريقة في التعامل ونحاول الفهم، لأن نعتبره مخطئاً؛ كونه خالف أحد المفسّرين قديماً أو حديثاً من جاؤوا بعده.

س10: اعتبار المرويات الإسرائىلية مصدرًا من مصادر التفسير يمثل نقطة خلافٍ بين بعض الدارسين، فما نظرتكم لهذا الأمر؟

أ/ مساعد الطيار:

في الحقيقة، إنّ الذي ينظر في التفسير يجد أنّ المرويات الإسرائىلية لها حضورٌ بارزٌ فيه وبشكلٍ كبيرٍ لا سيما عند السلف، وبالتالي فكيف يمكننا اعتبار الرجوع لهذه المرويات ليس دليلاً أو مصدرًا للتفسير، ولستُ أدرى لمَ يرفض البعض مثل ذلك؟! فأحياناً نشعر أنّ البعض لديه تخوفات من القول بذلك ولو ازمه والطعن الذي قد يرد من ورائه، والتخوف ليس سبيلاً لحل الإشكالات ورقة الشبهات كما هو معلوم، لكن الأصل أن ندرس المسألة ونبين المنهج إزاءها، وأنه ليس كما قد يفهم

من قِبَل البعض ويُثير من خلاله بعض الإشكالات.

س 11: لطالما درَج المفسِّرون الأوائل على رواية المرويات الإسرايليات في تصانيفهم ثم بدأ نقد هذا الإيراد من قِبَل بعض المفسرين، فلو تطلعوننا على مسار ذلك النقد، متى بدأ؟ وما أسبابه؟

أ.د/ مساعد الطيار:

في الحقيقة، هذا من الأمور المهمة الحرَيَّة بالدراسة، وليس لدىَ فيها استقراءً شاملًّ، وإنما بعض الملاحظات التي وقفتُ عليها من خلال التتبع لهذه الحركة التاريخية في أحد البحوث التي قمتُ بها، وقد وَجَدْتُ لنَفْد المرويات الإسرايلية بدايات في القرن الرابع عند النحّاس، حيث نَفَدَ بعض المرويات واعتَرَضَ على بعض تفاصيلها؛ كالوارد في القصص المتعلق بسيِّدنا داود، وكذلك وَجَدْتُه عند الجصاص، وقد لاحظتُ أنَّ الجصاص عزَف عن المرويات الإسرايلية في قصة داود وأتى بقصة جديدة لا أعرف مصدرها، والغرض أنَّ فعله يدلُّ على عدم قناعته بالقصص الإسرايلي في شأن داود -عليه السلام-، ولدينا الرازِي وهو من أشدّ نَفَاد الإسرايليات، ويناقش المرويات نقاشًا عقلِيًّا محضًا لا سيما ما يتعلق بالأنبياء، وأنَّ المرويات أتت بما يخالف عصمة الأنبياء، ولدينا ابن كثير الذي نَفَدَ المرويات وَقَبِيل بعضها؛ ولهذا لم يَسْلِم من النقد، وعندنا أبو حيان الذي سلك الرازِي في نَفَاد المرويات وناقشهما نقاشًا عقلِيًّا، وقد امتدَّ نَفَاد المرويات إلى المعاصرين من المفسِّرين، ومن المعاصرين نسبيًّا المتوسطين في المسألة هو القاسمي صاحب (محاسن التأویل)، والذي يدافع عنَّ أورَاد المرويات بصورة

عامة، وينبئ على بعض الضوابط الخاصة بها.

إن المتأمل لحركة النقد الإسرائيليات يجدها قد اشتدت كثيراً جداً لدى المعاصرين في الوقت الحاضر، ولهذا الاشتداد سببان:

الأول: ظهور مدرسة (المنار)، والتي أثّرت فيمن تلاها كما هو معلوم، فمن يقرأ مقدمة (تفسير المنار) يجد فيها نقداً شديداً للمروي عن بني إسرائيل وتضعيقاً للمروي بصورة عامة، وقد تأثر بكتاب (المنار) من جاء بعده بصورةٍ كبيرة.

الثاني: العداء بيننا وبين اليهود في العصر الحديث، حيث صار لدينا موقف عدائيٌ تامٌ معهم، ومن ثم صار هذا دافعاً كبيراً لدى المعاصرين لرد هذه المرويات.

ولا شك أن مناقشة المسائل العلمية تحتاج للتجرد من العاطفة والبعد عن مثل ذلك؛ حتى يمكن معالجتها بصورة سليمة ومنهجية.

س12: مثّلت المرويات الإسرائيلية حضوراً عند بعض المفسرين ممّن انتقدوا إيرادها، فما تفسيركم لذلك؟

أ.د/ مساعد الطيار:

هناك العديد فعليناً من رجعوا للمرويات الإسرائيلية حتى وإن كانوا من نقدتها؛ وذلك كرشيد رضا وابن عاشور، وهذا يبيّن لنا أن هذه المرويات مهمة في التفسير ومؤثرة في القيام به.

المحور الثالث: الإِسْرَائِيلِيَّاتُ، الْوَاقِعُ وَالْأَفَاقُ.

س 13: كثيرون من البحث المعاصر يتعرّض لمقاربة موضوع الإِسْرَائِيلِيَّاتُ بشكلٍ نظريٍّ تجريديٍّ، دون النظر في تطبيقات المفسرين، فكيف ترون هذا المسلك البحثي في التعامل مع هذه القضية؟ وجدوئ نتائجه؟

أ/ د/ مساعد الطيار:

البحث المعاصر للإِسْرَائِيلِيَّاتُ مشكلته -كما ورد بالسؤال- أنه بحث تجريديٌّ، وليس تطبيقياً، فهو تصوّرات نظرية وليس من خلال النظر في التطبيقات واستقرائها، وبالتالي فإن النتائج التي يوردها تبقى مطعوناً عليها، ولا تفيد كثيراً في حل الإشكال.

وأذكر أنني كنت أناقش بعض من يتبّون نظرةً نقديةً عن الإِسْرَائِيلِيَّاتُ، وحين كنت أخبرهم ببعض الإحصائيات عن حضور المرويات عند السلف التي أثبتتها بعض الدراسات الاستقرائية، فإنهم لا يصدقون.

وفي مناقشة علمية لأحد الباحثين قام بحصر المرويات الإِسْرَائِيلِيَّة عند بعض الصحابة، أذكر أن أحد المناقشين اقترح حذف ذلك؛ كونه كثيراً جدًا وقد يمثل طعنة على الصحابة.

إن البحث لكي يكون مفيداً فإنه يجب أن يتخلص من المقرّرات السابقة حول المسألة، ويتأملها في واقعها التطبيقي، ثم يبني أحکامه، لا العكس، وهو ما لا تلحظه في البحث المعاصر لمسألة المرويات الإِسْرَائِيلِيَّاتُ.

س 14: هناك مسارٌ كبيرٌ لدراسة موضوع الإسraelيات في الجامعات تحت مسمى «الدخيل في التفسير»، وهو يشيّي بأنّ هناك موقفاً مُسبقاً من الإسraelيات، كما هو بيّن من تسميته، وكذلك هناك مشاريع تتنادى بضرورة تنقية كُتب التراث - خاصة التفاسير - من هذه المرويات، فما تقييمكم لهذه المسارات والمشروعات والنتائج البحثيّة فيها؟

أ.د/ مساعد الطيار:

في الحقيقة، أرى أنّ هذه المسألة من المصائب العلميّة للبحث المعاصر، وحين أقول: (مصيبّة) فأنا أعنيها هاهنا؛ لأمور عديدة، أهمّها أمران:

الأول: أنك حين تقول: «الدخيل في التفسير»، فإنك قد حكمتَ قبل أن تبدأ البحث، وهذا مشكلٌ.

الثاني: أن مفهوم (الدخيل) يحمل في طيّاته شيئاً من سوء الأدب مع العلماء؛ فلأنّ الإسraelيات صارت دخيلاً، ولدينا من رواها؛ فإننا لكي نبرّر ذلك نقول بأنه رواها بدونوعي، وهذه مصيبة أكبر. وهذا مشكلٌ؛ لأن العلماء متى أوردوا أمراً كالمرويات وتتابعوا عليه وهم أهل نظر وتحrir، فكيف يقال بأنهم رووه بدونوعي وفهم؟! كما تجده لدى الكثير من الدراسات المعاصرة، وليس المشكلة على الحقيقة ما أدخلوه ولكن أننا لم نفهم منهجم في ذلك.

و على سبيل المثال، فإنّ ابن كثير - وهو محدثٌ يروي أحاديثَ ضعيفةَ تحت تفسير بعض الآيات، كما فعل في قوله تعالى: {فَائْفُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنَكُمْ}[الأنفال: ١٧]

[3]، وهذه الأحاديث يوردها بعد ظهور المعنى وتقرّره، وتجد البعض يستشكل صنيع ابن كثير ويعتبره دخيلاً؛ كونه أورد ضعيفاً، وهذا غريب؛ لأن ابن كثير محدث وحتماً لما أورده مقاصد، علينا أن نتبينها قبل أن نهجم عليه بمثل هذا النقد، وقل مثل ذلك في موضوع الإسraelيات؛ حيث نتبين نحن قولاً أو نظراً معيناً ثم نحاكم من سبّنا إليه، وهذا غلطٌ ظاهرٌ؛ إذ الأصل أن نتعرّف مناهجَ من أوردوا هذه المرويات ونفهمها، لا أن نحاكمهم لنظراتنا التي كونّها بعيداً عن واقعهم التطبيقي.

س15: من خلال عنايتك بدراسة هذا الموضوع، ما أبرز الآفاق التي ترون ضرورة توجيه دفة البحث إليها؟

أ/ مساعد الطيار:

في الحقيقة، هناك مجالات عديدة للبحث في موضوع الإسraelيات، منها إجمالاً ما يلي:

- تتبع حركة نقد الإسraelيات في التاريخ وكيفياتها وتطورها والدوافع التي أوجتها.

- إحصاء الروايات الإسرائيلية في التفسير؛ لأن الإحصاءات الرقمية هذه تضمن أمام الواقع، بدلاً من دعوى أنّ فلاناً روى قليلاً وغيره روى كثيراً مما قد لا يكون له واقع في كتب التفسير.

- أنواع الإفادة من المرويات الإسرائيلية في التفسير، وكيف استعملها المفسرون

وبيتوا من خلالها المعاني.

- دراسة حركة نقد الإِسْرَائِيلِيَّاتُ من المستشرقين، وأثرها على البحث المعاصر.
- دراسة البحث المعاصر الناقد للإِسْرَائِيلِيَّاتُ، وبيان أُسسها المنهجية وما به من إشكالات.
- دراسة بحث الإِسْرَائِيلِيَّاتُ لدى بعض كُتاب الحداثة وما يوردونه من نتائج إزاءها، وما يتربّى على نظرتهم للأمر من إنكار الأحاديث وبعض معطيات القصص القرآني، وغير ذلك. والحمد لله رب العالمين.

[1] هذا البحث ظهر على ملتقى أهل التفسير بتاريخ 21/2/1424هـ، وقد ظهر مطبوعاً ضمن كتاب «مراجعات في الإِسْرَائِيلِيَّاتُ»، الصادر عن مركز تفسير، ط: 1، 1436هـ- 2015م، ص: 33-59.

[2] وقد ظهر ذلك المقال مطبوعاً مع بعض التعديلات في كتاب «التحرير في أصول التفسير».

[3] ونصّ الحديث عند ابن كثير كالتالي: عن سعيد بن أنس، عن أنس -رضي الله عنه- قال: بينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس، إذ رأيناه ضحك حتى بدأ ثناياه، فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ فقال: «رجلان جئنَا من أمتَي بين يدي رب العزة تبارك وتعالى، فقال أحدهما: يا رب، خذ لي مظلومي من أخي. قال الله تعالى: أعطِ أخاك مظلومته. قال: يا رب، لم يبقَ من حسناتي شيء. قال: رب، فليحمل عنِّي من أوزارِي، قال: وفاضت علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالبكاء، ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم، يوم يحتاج الناس إلى مَنْ يتحمل عنهم من أوزارِهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان، فرفع رأسه فقال: يا رب، أرى مدائن من فضة

وَقَصْوَرًا مِنْ ذَهَبٍ مَكْلُولٌ بِاللَّوْلُوِ، لَا يَنْبِيُ هَذَا؟ لَا يَصِدِّيقُ هَذَا؟ لَا يَشْهِدُ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَى النَّثْنَ، قَالَ: يَا رَبَّ، وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ، قَالَ: مَاذَا يَا رَبَّ؟ قَالَ: تَغْفِرُ عَنِ الْأَخِيَّكَ، قَالَ: يَا رَبَّ، فَإِنِّي قَدْ عَفَوتُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حُذْ بِيْدَ أَخِيَّكَ فَادْخُلْهُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَاقْتُلُوا إِلَهَكُمْ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ، ت: سَلَامَةُ (4/11).